

التفضيل

بين الصبر والشكر

د. سالم بن محمد القرني
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد - أبها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على الأنبياء الصابرين،
وأخصُّ إمامهم وخاتمهم محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن تبع سُنَّته
إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ الصبر في اللغة: المنع والحبس^(١)؛ حبس النفس عن الجزع
واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحو ذلك^(٢).

فهو من قولك: صبرَ يصبرُ صبراً، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

(١) انظر: لسان العرب (٤/٤٣٨)، ومختار الصحاح ص ٣٥٤، وعدة الصابرين ص ٧.

(٢) انظر: عدة الصابرين لابن القيم ص ٧٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/٢٣٣)،
والروح لابن القيم ص ٢٤١.

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿الكهف: ٢٨﴾.

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، ومنه الصبر للدواء المعروف لشدة مرارته وكراهته.

وقيل: مأخوذ من الضم، فالصابر يجمع نفسه ويضمتها عن الهلع والجزع.

وقيل: من صبرت فلاناً: إذا حبسته. وصبرته بالتشديد، إذا حملته على الصبر.

والتحقيق: أن في الصبر المعاني الثلاثة (المنع والشدة والضم)^(١).

وقد دلّ الشرع على أنه: ثبات القلب على الأحكام القدريّة والشرعية^(٢).

وقيل: طاعة الله^(٣).

وقيل: التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرّع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة^(٤).

وقيل: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب^(٥).

وقيل: الثبات على أحكام الكتاب والسنة^(٦).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٧.

(٢) الروح لابن القيم ص ٢٤١.

(٣) تفسير الطبري (١٤٠/١٣).

(٤) عدة الصابرين ص ٧.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٢/٣).

(٦) شرح صحيح مسلم (١٠٢/٣)، وتفسير القرطبي (١٧٤/٢).



وقيل: ترك الشكوى^(١).

وقيل: الاستعانة بالله^(٢).

وقيل: ألا يعترض على المقدور^(٣).

وأجمعها الأول لأنه يشمل ما بعده^(٤).

وأما الشكر: فهو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف^(٥)،
أو الاعتراف بنعمة المنعم وفعل ما يجب من الطاعة وترك المعصية^(٦)،
أو عرفان الإحسان ونشره^(٧).

يقال: شكره، يشكره، شكرًا، وشكورًا، وشكرانًا، كما يقال: شكره،
وشكر له «شكرت الله، وشكرت الله، وشكر بالله، وشكرت نعمة الله»
وتشكرت له مثل: شكر له.

وتشكرت له بلاءه مثل: شكره، فيتعدى بنفسه وباللام^(٨).

والشكور: كثير الشكر، ومنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

والشكور من أسماء الله الحسنى، فهو الذي يزكو عنده القليل من
أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، فالشكر منه - سبحانه -: المجازاة
والثناء الجميل^(٩).

(١) تفسير القرطبي (١٧٤/٢).

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٣) تفسير القرطبي (١٧٤/٢)، وشرح صحيح مسلم (١٠٢/٣).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٠٢/٣)، وتفسير القرطبي (١٧٤/٢).

(٥) انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٤، ولسان العرب (٤٢٤/٤).

(٦) المصباح المنير (٣٨٧/١).

(٧) لسان العرب (٤٢٣/٢).

(٨) انظر: لسان العرب (٤٢٣/٤)، والفايق في غريب الحديث (٣١٤/١).

(٩) لسان العرب (٤٢٣/٤).

ودلّ الشرع على أنه: طاعة الله المتضمنة ذكر النعم، والاعتراف والتحدث بها وحمد المنعم والثناء عليه، وصرفها فيما يرضي الله، بالعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الظاهرة والباطنة، مع الخضوع التام والاستكانة لله - تعالى - واجتناب ما نهى عنه^(١).

وإذا كان الصبر على الضراء ونحو ذلك ممّا أوجبه الله وأحبّه كما أوجب الشكر على النعماء وأحبّه، كان كلٌّ من الصبر والشكر مما يجب محبته وعمله، فيكون ما قدر للمؤمن من سراء معها شكر وضراء معها صبر، خيراً له، كما قال النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له»^(٢).

وصبر الطاعة لا يأتي به إلاّ شاكر، ولكن اندرج شكره في صبره، فكان الحكم للصبر، كما اندرج صبر الشكور في شكره فكان الحكم للشكر.

فمقامات الإيمان لا تعدم بالتنقل فيها، بل تندرج وينطوي الأدنى في الأعلى، كما يندرج الإيمان في الإحسان، وكما يندرج الصبر في مقامات الرضا؛ لأن الصبر يزول، ويندرج الرضا في التفويض ويندرج الخوف والرجاء في الحب، لا أنهما يزولان.

فالمقدور الواحد يتعلّق به الشكر والصبر، سواء كان محبوباً أو مكروهاً.

(١) انظر: صيغ الحمد لابن القيم ص ٢٦، ومدارج السالكين (١/٣٣٧، ٤٤٩، ٢/٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٤٤٧)، وعدة الصابرين ص ١٠٤، ١٢٢، ١٢٣، والتعريفات للجرجاني (٢/١٦٨)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤/١٠٦، ١٣٠)، والشكر لابن أبي الدنيا ص ٢٤ بتحقيق زغلول، وتفسير الطبري (٢٢/٧٢)، وتفسير ابن سعدي ص ٦٧٧، وغيرها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، وانظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية (٣/١٩٤).



فالفقر مثلاً يتعلّق به الصبر، وهو أخصّ به لما فيه من الكراهة، ويتعلّق به الشكر لما فيه من النعمة، فمن غلب شهود نعمته وتلذّذه به، واستراح واطمأنّ إليه: عدّه نعمة يشكر عليها، ومن غلب ما فيه من الابتلاء والضيق والحاجة عدّه بلية يصبر عليها وعكسه الغنى^(١).

ثم إنّ صاحب السراء أحوج إلى الشكر، وصاحب الضراء أحوج إلى الصبر، ولذلك كان الشكر في السراء والصبر في الضراء واجباً إذا تركه العبد استحقّ العقاب.

أما صبر السراء فقد يكون مستحبّاً إذا كان عن فضول الشهوات، وقد يكون واجباً، ولكن لإتيانه بالشكر الذي هو حسنات يغفر له ما يغفر من سيئاته.

وكذلك صاحب الضراء لا يكون الشكر في حقّه مستحبّاً إذا كان شكراً يصبر به من السابقين المقربين، وقد يكون تقصيره في الشكر ممّا يغفر له، لما يأتي به من الصبر، فإن اجتماع الشكر والصبر جميعاً يكون مع تألّم النفس وتلذّذها، يصبر على الألم ويشكر على النعم، وهذا حال يعسر على كثير من الناس^(٢).

ومن هنا يعلم سرّ مسألة الغني الشاكر، والفقير الصابر، وأن كلاّ منهما محتاج إلى الشكر والصبر، وأنه قد يكون صبر الغني أكمل من صبر الفقير، كما قد يكون شكر الفقير أكمل، فأفضلهما أعظمهما شكراً وصبراً؛ فإن فضل صاحبه، فالشكر مستلزم للصبر لا يتمّ إلّا به، والصبر مستلزم للشكر لا يتمّ إلّا به، فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر، ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر، وإن كان في بلية ففرضها الصبر والشكر أيضاً.

أما الصبر فظاهر، وأمّا الشكر فللقيام بحقّ الله عليه في تلك البلية،

(١) انظر: عدة الصابرين لابن القيم ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١٠/٨، ٣٠٦/١٤).

فإن الله أن يقوم بعبوديته في هذا وهذا، فعلم أنه لا انفكاك له عن الصبر ما دام سائراً إلى الله^(١).

ولكن أيهما أفضل للصابر الشاكر، الشكر أم الصبر؟

هذه المسألة أردت أن أوضحها على ضوء ما قال العلماء - رحمهم الله - فيها لعلّي أصل إلى نتائج تنفع القارئ من الصابرين الشاكرين وتدفع المقصّر فيهما أو أحدهما إلى بيان منزلة صاحبهما ورفعته، وقد ذكرت أقوال الناس في هذه المسألة وأدلة كل قول وبيان وجه الاستدلال، ثم خلصت إلى عدة نتائج عرضتها بإيجاز ختمت بها البحث، سائلاً المولى ﷻ السداد والتوفيق.

الباحث

(١) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (١/٣٩٩).



التفضيل بين الصبر والشكر

تنازع الناس في الأفضل من الشكر والصبر، وأكثر الناس في المسألة، وتكلم الفقهاء والفقراء والأغنياء والصوفية وأهل الحديث والتفسير في ذلك^(١)، وحكي عن أهل العلم في ذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن الشكر أفضل

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة كثيرة، منها:

١ - أن الصبر وسيلة لا غاية، وأما الشكر فهو الغاية، والمطلوب لنفسه أفضل من المطلوب لغيره، والأكمل من الكامل، والأفضل من الفاضل، ومن عرف للشكر حقه لم يفضل الصبر عليه^(٢).

٢ - أن الله قد قرن الشكر بذكره - سبحانه - الذي هو المراد من الخلق، وكلاهما هو المراد بالخلق والأمر، والصبر خادم لهما ووسيلة إليهما وعون عليهما^(٣)، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة: ١٥٢] بالصلاة، والتسبيح ونحوه، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٢] نعمتي بالطاعة^(٤).

قلت: الله بيّن في هذه الآية الأمر بالشكر، ثم بيّن في الآية التي بعدها أن الصبر وسيلة من وسائل الاستعانة فقال: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولعل في هذا دليلاً على فضل الشكر، والله أعلم.

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩٢/٥).

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير الجلالين (٣١/١).

وكذلك في الحديث: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

فقدّم الشكر في السراء على الصبر على الضراء.

٣ - أن الله سبحانه وتعالى قرن الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] أي: إن وفيتم ما خلقتكم له وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم^(٢)، بل قال بعضهم: إن الإيمان من الشكر، فعطفه عليه من عطف العام على الخاص^(٣).

٤ - أن الله سبحانه أخبر أن أهل الشكر هم المختصون بمنته عليهم من بين عباده فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

قال سيد قطب في ظلال هذه الآية: «وإذ يقرر أن نعمة الإيمان لا تتعلّق بقيمة من قيم الأرض الصغيرة التي تسود في الجاهليات البشرية، إنّما يختصّ الله بها من يعلم أنهم شاكرون عليها لا يهتم أن يكونوا من الموالى والضعاف والفقراء...»^(٤).

وذكر الطبري في معنى الآية: «أنا أعلم بمن كان من خلقي جزاء شكره إياي على نعمتي... لا لغنى الغني منهم ولا لفقر الفقير؛ لأن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفاق، باب المؤمن أمره كله خير، وابن حبان في صحيحه (١٥٥/٧).

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩٥.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٤٨/٣).

(٤) في ظلال القرآن (١١٠١/٧).

الشواب والعقاب لا يستحقه أحد إلا جزاء على عمله الذي اكتسبه لا على غناه وفقره»^(١).

وقال الواحدي: «إنما يهدي إلى دينه من يعلم أنه يشكر»^(٢).

٥ - أن الله تعالى قسم الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وقال نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [الثلث: ٤٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُمْ لِنِ شَكْرَتِكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وهذا كثير في القرآن الكريم يقابل سبحانه بين الشكر والكفر فهو ضده^(٣).

٦ - أن الشاكرين هم الذين يشتون على نعمة الإيمان لا ينقلبون أبداً^(٤) كما أخبر الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال سيد قطب: «﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: الذين يعرفون مقدار

(١) تفسير الطبري (٢٠٧/٧).

(٢) تفسير الواحدي (٣٥٦/١).

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٩٥.

(٤) المصدر نفسه.

النعمة التي منحها الله لعباده في إعطائهم هذا المنح، فيشكرونها باتباع المنهج ويشكرونها بالثناء على الله...»^(١).

٧ - أن الله سبحانه وتعالى علّق المزيد بالشكر، والمزيد منه تعالى لا نهاية له، كما لا نهاية لشكره^(٢).

قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال الثعالبي: «قال بعض العلماء: الزيادة على الشكر ليست في الدنيا وإنما هي نعم الآخرة، والدنيا أهون من ذلك»^(٣).

ثم قال: «وجائز أن يزيد الله المؤمن على شكره من نعم الدنيا والآخرة»^(٤).

قلت: ونعيم الآخرة لا نهاية له.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في هذه الآية: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ قال: أخبرهم موسى عن ربه أنهم إن شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم من الرزق، وأظهرهم على العالم»^(٥).

٨ - قد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة، كقوله: ﴿فَسَوْفَ يُعْطِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقوله في الإجابة: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

وقوله ﴿يَرْزُقُكَ﴾ في الرزق: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢، النور: ٣٨].

وقوله في المغفرة: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

(١) في ظلال القرآن (٤/٤٨٦).

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩٥.

(٣) تفسير الثعالبي (٢/٢٧٥).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/٩٨).



وفي التوبة: ﴿وَتُوبُ اللَّهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٥].

وأطلق جزاء الشكر حيث ذكر، كقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقوله: ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٩ - ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال: ﴿ثُمَّ لَا تَبْقَىٰ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَخَلْفَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧].

قال ابن سعدي في تفسير الآية: «فإن القيام بالشكر من سلوك الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به»^(١).

١٠ - أن الله وصف الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد قال رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اللهم اجعلني من القليل»، فقال عمر: ما هذا الذي تدعو به؟ فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل، فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر»^(٢).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: «اللهم اجعلني من الأقلين، فقال: ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قال: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [مُؤد: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

(١) تفسير الكريم المنان لابن سعدي ص ٢٨٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، ما ذكر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الدعاء (٦٥/٦)، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٧٧/١٤).

[١٣]، وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، فقال عمر: صدقت^(١).

١١ - أن الله أثنى على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر، فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]. وفي المستدرك للحاكم: «كان نوح إذا طعم طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله؛ فسمي عبداً شكوراً»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي تخصيص نوح هاهنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به، فإنه أبوهم الثاني، فإن الله لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلًا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَايَنَ﴾ [الصفات: ٧٧]، فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر فإنه كان عبداً شكوراً»^(٣).

قلت: بل إن الشكر خير ما وصف الله به الأنبياء وأثنى عليهم.

١٢ - أن الله سبحانه أخبر أنما يعبد من شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته^(٤) فقال: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

قال الشعالي: «وإن من قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ شرط، والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز النفوس، كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلاً»^(٥).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦، وانظر: تفسير السيوطي (٢٨٢/٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩٢/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦، وانظر: تفسير ابن سعدي ص ٤٥٣.

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦.

(٥) تفسير الشعالي (١٢٩/١).



وقال ابن سعدي في معنى الآية: «أي فاشكروه، فدلّ على أن من لم يشكر الله فلم يعبدّه وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به»^(١).

١٣ - أمر الله عبده موسى أن يتلقّى ما آتاه من النبوة والرسالة والتكليم بالشكر^(٢)، فقال تعالى: ﴿يَكْمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال الطبري في تفسير الآية: «﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾» الله على ما آتاك من رسالته وحصل به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه والمسارة إلى رضاه»^(٣).

وبمثل هذا الأمر أمر محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

قال الشوكاني: «﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾» لإنعامه عليك بما هداك إليه من التوحيد والدعاء إلى دينه واختصّك به من الرسالة»^(٤).

وكذلك الصبر قد أمر الله به في آيات وأحاديث كثيرة، سيأتي بعضها.

١٤ - أن أول وصية وصّى الله بها الإنسان بعد ما عقل عنه بالشكر له وللوالدين^(٥)، وقرن شكرهما بشكره^(٦) فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨١.

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦.

(٣) تفسير الطبري (٥٦/٩).

(٤) فتح القدير (٤٧٥/٤).

(٥) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦.

(٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٥٥/٣).

١٥ - أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ رِضَاهُ فِي شُكْرِهِ^(١)، فَقَالَ: ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

قال الإمام الطبري: «وإن تؤمنوا برؤكم وتطيعوه يرضَ شكركم له، وذلك هو إيمانهم به، وطاعتهم إيَّاه، فكُنِّي عن الشكر ولم يذكر، وإنما ذكر الفعل الدالُّ عليه»^(٢).

قلتُ: فالشكر من العبد الرضا بما قسم الله له وأعطاه ووفقه إليه من العبادة، والشكر من الله للعبد على طاعته وعبادته إيَّاه: رضاه عنه، ومنه الزيادة والثواب الجزيل.

١٦ - أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَثْنَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشُكْرِ نَعْمِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التحل: ١٢٠] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْبَنَةً وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [التحل: ١٢١] فأخبر عنه سبحانه بأنه أمة، أي قدوة يؤتم به في الخير، وأنه قانتٌ لله، والقانت هو المطيع^(٣).

وقال الطبري: «كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكاً...»^(٤).

وقال السعدي: «آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن ﴿أَجْبَنَهُ﴾ ربُّه، واختصَّه بخلته، وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين»^(٥).

١٧ - ويدلُّ على فضل الشكر على الصبر أن الله سبحانه يحبُّ أن يُسأل العافية، وما يُسأل شيئاً أحبَّ إليه من العافية^(٦) كما في المسند عن

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦.

(٢) تفسير الطبري (١٩٨/٢٣).

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٩٦.

(٤) تفسير الطبري (١٩٠/١٤).

(٥) تفسير ابن سعدي ص ٤٥٢.

(٦) انظر: عدة الصابرين ص ١١٥.



أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر ثم قال: سلوا الله العافية، فإنه لم يعط عبداً بعد اليقين خيراً من العافية».

وفي رواية: «قال: قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر فقال: قد علمتم ما قام به فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول في مقامي هذا، ثم أعادها، ثم بكى، ثم أعادها، ثم بكى، فقال: إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية، فسلوهما الله عز وجل»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عباس، يا عم النبي، أكثر الدعاء بالعافية»^(٢).

وعند الترمذي عن العباس بن عبدالمطلب: قال: قلت: يا رسول الله علّمني شيئاً أسأله الله عز وجل، قال: «سل الله العافية»، فمكث أياماً ثم جئت فقلت: يا رسول الله علّمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: «يا عباس، يا عم رسول الله، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»^(٣).

وعند الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة»، قال: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: «وأين يقع صبر أبي ذرٍّ على فقره إلى شكر الصديق به وشرائه المعذّبين في الله وإعتاقهم وإنفاقه...»^(٥).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى من سبع طرق في مسألة المعافاة وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بكر رضي الله عنه في ذلك (٢٢٠/٦ - ٢٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (٩٦/١)، وفي (١١٢/١) وقال الشيخ حسين أسد: «إسناده صحيح»، وفي (١٢٣/١) وقال الشيخ حسين أسد: «إسناده ضعيف»، والإمام أحمد في المسند (٨/١)، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٦١.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٦١ بتحقيق زغلول.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب منه (٨٤) (٥٣٣/٥)، وقال: «هذا حديث صحيح».

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية (٥٧٦/٥)، وقال: «حديث حسن».

(٥) انظر: عدة الصابرين ص ٢١٥.

قال ابن بطال رحمته الله: «هذا من تفضيل الله على عباده، أن جعل للطاعم إذا شكر ربّه على ما أنعم به عليه ثواب الصائم الصابر»^(١).

١٨ - احتجّ من فضل الشكر بآية الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].
قال: وذلك لا يتم إلا بالمال.

وأجاب من فضل الصبر بأنه لا مانع أن يكون الشكر في جانب أفضل من الصبر في حالة مخصوصة، ولا يستلزم أن يكون أفضل مطلقاً^(٢).

١٩ - قال بعض من فضل الشكر: «لا شك أن محنة الصابر أشدّ من محنة الشاكر، غير أنني أقول كما قال مطرف بن عبدالله^(٣): لأن أعافى فأشكر أحبّ إليّ من أن أبتلى فأصبر»^(٤).

قال ابن حجر رحمته الله: «قلت: وكان السبب فيه ما جبل عليه طبع الآدمي من قلة الصبر، ولهذا يوجد من يقوم بحسب الاستطاعة بحق الصبر أقل ممن يقوم بحق الشكر بحسب الاستطاعة»^(٥).

٢٠ - قالوا: والغنى مع الشكر زيادة فضل ورحمة، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

قالوا: والأغنياء الشاكرون سبب لطاعة الفقراء الصابرين لتقويتهم

(١) فتح الباري (٥٨٣/٩)

(٢) المصدر نفسه (٢٧٧/١١)

(٣) هو: أبو عبدالله مطرف بن عبدالله بن الشخير العامري الحرشي البصري، أبوه من أصحاب النبي ﷺ، توفي مطرف سنة ٩٥هـ. انظر: رجال مسلم، الأصبهاني (٢٤٧/٢) - (٢٤٨)، وسير أعلام النبلاء (١٨٧/٤) وما بعدها.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥٩/٤)، وفتح الباري (٢٧٦/١١)

(٥) فتح الباري (٢٧٦/١١)



إِيَّاهُمْ بالصدقة عليهم، والإحسان عليهم، وإعانتهم على طاعتهم، فلهم نصيبٌ وافر من أجور الفقراء زيادة إلى نصيبهم من أجر الإنفاق وطاعتهم التي تخصُّهم^(١)، كما في صحيح مسلم: «ذهب أهل الدثور بالأجور يصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم» قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة...» الحديث^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وقد جعل رسول الله ﷺ الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر، ومعلوم أنه إذا تعدَّى شكره إلى الإحسان إلى الغير ازداد أخرى، فإن الشكر يتضاعف إلى ما لا نهاية بخلاف الصبر فإنَّ له حدًّا يقف عليه.

وهذا دليل مستقلُّ في المسألة يوضح أن الشاكر أفضل من الراضي الذي هو أعلى من الصابر، فإذا كان الشاكر أفضل من الراضي الذي هو أفضل من الصابر، كان أفضل من الصابر في درجتين^(٣).

٢١ - الشكر الواقع على التفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره، ولهذا كان شكر الملائكة وخضوعهم وذلُّهم لعظمته وجلاله؛ بعد أن شاهدوا من إبليس ما جرى له، ومن هاروت وماروت ما شاهدوه أعلى وأكمل ممَّا كان قبله، وهذه حكمة الرب، ولهذا كان شكر الأنبياء وأتباعهم بعد أن

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٢١٥.

(٢) أخرجه بلفظ آخر البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب يسلم حين يسلم الإمام... وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، في موضعين.

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٢١٨.

عائنا هلاك أعدائهم، وانتقام الرب منهم، وما أنزل بهم من بأسه، أعلى وأكمل.

وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة، وهم يشاهدون أعداءه المكذبين لرسله المشركين به في ذلك العذاب، فلا ريب أن شكرهم حيث يشاء ورضاهم ومحبتهم لربهم أكمل وأعظم مما لو قد اشترك جميع الخلق في النعم.

فالمحبة الحاصلة من أوليائه له، والرضا، والشكر؛ وهم يشاهدون بني جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم^(١).

..... فالضد يظهر حسنه الضد^(٢)

..... وبضدها تتميز الأشياء^(٣)

الثاني: أن الصبر أفضل:

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١ - أن الله قد أثنى على الصبر وأهله، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، ومدحه، وأمر به وعلّق عليه خيري الدنيا والآخرة^(٤).

٢ - أن الله سبحانه قد ذكره في كتابه في أكثر من مائة موضع^(٥).

(١) انظر: شفاء العليل ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

(٢) عجز بيت صدره: «ضدان لما استجمعا حسنا»، انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٥٠٣/٢)، ولم ينسب لأحد.

(٣) عجز بيت لأمير الوعظ أبي الصلت أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت. انظر في: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (١٠٦/٢، ٣٢٦/٦).

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ٩٠.

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٣٩٩ - ٤٠٩، وعدة الصابرين ص ٩٠.



٣ - أنه ورد في أنه أفضل من الشكر نصوص من الشرع، منها: ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»^(١).

فذكر ذلك في معرض تفضيل الصبر ورفع درجته على الشكر، فإنه ألحق الشاكر بالصابر، وشبهه به، ورتبة المشبه به أعلى من رتبة المشبه^(٢).

قلت: الموازنة بين صفة هي الشكر وصفتين هما الصوم والصبر، وهما من الشكر، فلعلهما أفضل من الشكر في حال عدم وجود الصوم والصبر.

٤ - قالوا: إذا وازننا بين النصوص الواردة في الصبر والواردة في الشكر وجدنا نصوص الصبر أضعافها، ومثلوا لذلك بالصلاة والزكاة فقالوا: لما كانت الصلاة والجهد أفضل الأعمال كانت الأحاديث فيهما في سائر الأبواب، فلا تجد الأحاديث النبوية في باب أكثر منها في بابي الصلاة والجهد^(٣).

قلت: الصلاة والجهد من الشكر، ثم إن كثرة النصوص في الدعوة إلى الصبر والأمر به دليل على أنه وسيلة عظيمة لتحقيق ما هو أعلى منه وأفضل وهو الشكر، فإنه لا يتحقق إلا بالطاعة والصبر عليها وترك المعصية والصبر عنها.

(١) أخرجه البخاري معلقاً عن أبي هريرة، في كتاب النفقات، باب الطاعم الشاكر، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٧/٣)، وابن حبان في صحيحه (١٧/٢)، والحاكم في المستدرک (١٥١/٤)، دار الكتب العلمية، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وفي (٥٨٤/١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب فيمن قال: «الطاعم الشاكر...» وصححه الألباني.

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩١، وفتح الباري (٥٨٣/٩).

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٩١.

٥ - قالوا أيضاً: الصبر يدخل في كل باب، بل في كل مسألة من مسائل الدين، ولهذا كان من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد^(١).

قلتُ: ولكن الشكر والحمد تاج العبد في كل ذلك، ولذلك يشكر الله عند حصول النعمة ويحمد على كل مكروه، وهذا شكر وزيادة، فيحمد الله على الغنى والفقر^(٢).

٦ - قالوا: إن الله سبحانه وتعالى علّق على الشكر الزيادة فقال: ﴿وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وعلّق على الصبر الجزاء بغير حساب^(٣)، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٧ - قالوا: إن الله تعالى أطلق جزاء الشاكرين فقال سبحانه: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقيد جزاء الصابرين بالإحسان فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٦].

قال أبو السعود: «ولأنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه... لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن...»^(٤).

٨ - أنه صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

وفي لفظ: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها، قال الله ﷻ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»^(٥).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥٢/٢).

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٩١.

(٤) تفسير أبو السعود (١٣٨/٥).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الامشاط.



قالوا: وما ذاك إلا لأنه صبر النفس، ومنعها من شهواتها، كما في الحديث نفسه: «يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»^(١).

ف «الصوم يسمّى صبراً لأنه حبس النفس عن المطاعم والمشارب والمناكح والشهوات»^(٢).

ولهذا قال النبي ﷺ لمن سألَه عن أفضل الأعمال: «عليك بالصوم فإنه لا عدلَ له»^(٣).

ولما كان الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الهوى، وكان هذا حقيقة الصوم؛ فإنه حبس النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع فسر بالصبر في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]: أنه الصوم، وسمّي رمضان شهر الصبر^(٤).

وقيل في تفسير الآية السابقة: «الصوم نصف الصبر»^(٥)، وذلك أن الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب، فإن النفس تشتهي الشيء لحصول اللذة بإدراكه، وتغضب لنفرتها من المؤلم لها، والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٦٠/١٩).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، في كتاب الصيام، باب فضل الصيام وأنه لا عدل له من الأعمال (١٩٤/٣)، وابن حبان في صحيحه في ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضاً أطيب من ريح المسك في الدنيا، والحاكم في المستدرک: كتاب الصوم، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وغيرهم.

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ٢١.

(٥) تفسير ابن كثير (٨٧/١).

قالوا: وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ وهو قوله: «وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم»^(١).

فأرشد إلى تعديل قوى الشهوة والغضب، وأن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه، فهذه تفسد صومه، وهذه تحبط أجره، كما في الحديث الآخر: «من لم يدغ قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٢).

٩ - وقال أصحاب هذا القول: ويكفي في فضل الصبر على الشكر قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]، فجعل فوزهم جزاء صبرهم^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فلا شيء يعدل معيته لعبده، كما قال بعض العارفين: «ذهب الصابرون بخير الدنيا والآخرة؛ لأنهم نالوا معية الله»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وهذا يتضمن الحراسة والكلاءة والحفظ للصبر لحكمه.

قلتُ: أمّا الفوز كما في الآية السابقة، فقد شاركهم غيرهم فيه كما في قوله تعالى عن السابقين إلى الإيمان من المهاجرين والمجاهدين في

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من لم يدع الزور والعمل به في الصوم، ومسلم في كتاب الصيام، باب حفظ اللسان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من لم يدع الزور والعمل به في الصوم، وفي كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: الآية ٣٠].

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ٩٢.

(٤) المصدر نفسه.



سبيل الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

وقال سبحانه عن أهل الطاعة والخشية والتقوى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الثور: ٥٧].

١٠ - أن الله قد وعد الصابرين بثلاثة أشياء كل واحد خير من الدنيا وما عليها، وهي:

١ - صلواته تعالى عليهم.

٢ - رحمته سبحانه لهم.

٣ - تخصيصهم بالهداية.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وهذا مفهم لحصر الهداية فيهم^(١).

١١ - أن الله أخبر أن الصبر من عزم الأمور في آيتين من كتابه هما:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْرٌ إِنَّ ذَلِكَ لِمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

قال أبو السعود: «أي مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف، أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به ويبالغ فيه...»^(٢).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩٢.

(٢) تفسير أبي السعود (١٢٤/٢).

وقال الثعالبي: «أي من أشدّها وأحسنها»^(١).

١٢ - أن الله أمر رسوله أن يتشبه بصبر أولي العزم من الرسل في مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

١٣ - قالوا: قد دلّ الدليل على أن الزهد في الدنيا، والتقلّل منها مهما أمكن من الاستكثار منها، والزهد فيها حال الصابر والاستكثار منها حال الشاكر.

وقالوا: وقد سئل المسيح عليه السلام عن رجلين مرّا بكنز فتخطّاه أحدهما، ولم يلتفت إليه، وأخذته الآخر، وأنفقه في طاعة الله تعالى أيهما أفضل؟ فقال: الذي لم يلتفت إليه وأعرض عنه أفضل عند الله^(٢).

قالوا: ويدلّ على صحة هذا: أن النبي ﷺ قال: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي ﷻ لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبِعَ يَوْمًا وَأَجُوعَ يَوْمًا»^(٣). ولو أخذها لأنفقها في مرضاة الله وطاعته، فآثر مقام الصبر عنها والزهد فيها.

قالوا: وقد علم أن الكمال الإنساني في ثلاثة أمور:

علوم يعرفها، وأعمال يعمل بها، وأحوال ترتب له على علومه وأعماله.

وأفضل العلم والعمل والحال: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته، وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء، فهذا

(١) تفسير الثعالبي (١/٣٣٨).

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي أمامة (٥/٢٥٤)، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٤/٥٧٥)، وقال: «هذا حديث حسن».

أشرف ما في الدنيا، وجزاؤه أشرف ما في الآخرة^(١).

قالوا: ولو كان الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر لاختاره رسول الله ﷺ إذ عرضت عليه الدنيا، ولأمر ربه أن يسأله إياه، كما أمره أن يسأله زيادة العلم، ولم يكن رسول الله ﷺ ليختار إلا ما اختاره الله له، ولم يكن الله ليختار له إلا الأفضل، إذ كان أفضل خلقه، وأكملهم^(٢).

١٤ - قالوا: إن حال الصابر حال المحافظ على الصحة والقوة، وحال الشاكر حال المتداوي بأنواع الأدوية لإزالة مواد السقم^(٣).

١٥ - قالوا: وقد شهد النبي ﷺ لأصحابه أنهم يوم فقرهم وفاقتهم خير منهم يوم غناهم وبسط الدنيا عليهم كما في مراسيل الحسن: أن نبي الله ﷺ كان يأتي أهل الصفة فيقول: «السلام عليكم يا أهل الصفة»، فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله. فيقول: «كيف أصبحتم؟» فيقولون: بخير يا رسول الله، فيقول: «أنتم اليوم خيراً أم يوم يُغدى على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويغدو في حلة ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة؟» قالوا: نحن يومئذ خير، يعطينا الله فنشكر، فقال رسول الله ﷺ: «بل أنتم اليوم خير»^(٤).

فهذا صريح في أنهم في وقت صبرهم على فقرهم خير منهم في وقت غناهم مع الشكر^(٥).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٩٥.

(٤) أخرجه هناد بن السري في الزهد (٣٩١/٢)، وله لفظ آخر عند الحاكم عن طلحة البصري في المستدرک (١٥/٣) مرفوعاً إلى النبي ﷺ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٥) انظر: عدة الصابرين ص ١٧٠.

١٦ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] قال بعضهم^(١): «الغرفة: الجنة، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ قال: على الفقر في الدنيا».

قال الإمام الطبري في تفسير الآية: «الغرفة وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يقول: بصبرهم على هذه الأفعال ومقاساة شدتها»^(٢).

وقد ناقش بعض العلماء هذا الدليل وذكر أن الآية لا حجة فيها على تفضيل الصبر على الشكر، لأن الصبر الذي فيها يتناول صبر الشاكر على طاعته وصبره عن معصيته، وصبر المبتلى بالفقر وغيره على بلائه، ولو كان المراد بها الصبر على الفقر وحده لم يدل رجحانه على الشكر؛ فإن القرآن كما دل على جزاء الصابرين دل على جزاء الشاكرين أيضاً^(٣)، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال: ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

ثم إن العبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ۝٩ وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [مؤد: ٩-١١].

بل قد أخبر أن رضاه في الشكر، ورضاه أكبر من جزائه بالجنات وما فيها بل هو الجزاء الأوفى والسبب الأعظم في دخول الجنة، وإذا جزي الله الصابرين الغرفة بما صبروا لم يدل على أنه لا يجزي الشاكرين الغرفة بما شكروا^(٤).

(١) كالضحاك. انظر: تفسير القرطبي (٨٣/١٣).

(٢) تفسير الطبري (٥٤/١٩).

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ١٤٦.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٦.



١٧ - وروي عن النبي ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين يوم القيامة»، فقالت عائشة رضي الله عنها: ولم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردّي المسكين ولو بشقّ تمرّة. يا عائشة أحبي المساكين وقربهم فإن الله يقربك يوم القيامة»^(١).

وفي صحيح ابن حبان^(٢): «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بسبعين أو أربعين خريفاً».

وقد أجيب عن هذا الحديث من وجهين:

الأول: أنه لا يحتج بإسناده، فإنه من رواية محمد بن ثابت الكوفي عن الحارث بن النعمان، والحارث هذا لم يحتج به أصحاب الصحيح، بل قال فيه البخاري: منكر الحديث، ولذلك لم يصحح الترمذي حديثه هذا، ولا حسنه، ولا سكت عنه بل حكم بغرابته.

الثاني: أن الحديث لو صحّ لم يدلّ على المطلوب من المستدل، فإن المسكنة التي يحبها الله من عبده ليست فقر المال بل مسكنة القلب التي هي انكساره وذله وخشوعه وتواضعه لله، وهذه لا تنافي الغنى ولا يشترط لها الفقر، وانكسار القلب لله، ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته أفضل وأعلى من مسكنة عدم المال.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (٥٧٧/٤)، وقال: «هذا حديث غريب»، والبيهقي في السنن (١٢/٧)، وذكر طرفه الأول الضياء المقدسي في المختارة، وقال: «في إسناده من لم أجده» (٢٧٠/٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٢٢/٤) بلفظ: «اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكيناً. واحشرنني في زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذمهي.

(٢) (٤٥٣/٢).

كما أنَّ صبر الواجد عن معاصي الله طوعاً واختياراً أو خشية من الله ومحبة له أعلى من صبر الفقير العاجز، وقد أتى الله جماعة من أنبيائه ورسله الغنى والملك ولم يخرجهم ذلك عن المسكنة لله^(١).

وأضيف أمراً ثالثاً: وهو أنه صحَّ في الحديث السابق:

«ذهب أهل الدثور بالأجور»^(٢) أن الغنى مع الشكر زيادة فضل ورحمة، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤] فالأغنياء الشاكرون سبب لتقوية الفقراء بالصدقة عليهم والإحسان إليهم وإعانتهم على الطاعة، وهذا سبب في تضاعف الشكر إلى ما لا نهاية.

الثالث: أنهما سواء:

كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت»^(٣).

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «حبذا المكروهان: الموت والفقر، وأيم الله ما هو إلا الغنى والفقر، وما أبالي بأيهما ابتليت، وإن حقَّ الله في كلِّ واحد منهما واجب إن كان غنى إن فيه للعطف وإن كان فقراً إن فيه للصبر»^(٤).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ١٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته. وانظر: تحفة الأحوذى للمباركفوري (١٦/٧، ١٧)، وشرح سنن ابن ماجه للسيوطي ص ٢٨٨.

(٣) لم أجده إلا عند ابن القيم في عدة الصابرين ص ٧٧، ٩٠.

(٤) أخرجه هناد بن السري في الزهد (٣٣/١)، والطبراني في الكبير (٥٢/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٢/١)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٩٦/١).



وقال أبو عبدالرحمن السلمي^(١): «سئل الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان عن الشكر والصبر أيهما أفضل؟ فقال: هما في محل الاستواء، فالشكر مطية السراء، والصبر فريضة الضراء»^(٢).

قال: «وقيل: الصبر أسنى الأمرين؛ لأن الشكر استجلاب واستدعاء، والصبر استكفاء وارتضاء، وموضع الرضا يفضل موضع الدعاء، وقيل: الشكر على النعمة وصرف البلية، والصبر على النعمة وعلى البلية، فهما على اتزان»^(٣).

قال ابن حجر رحمته الله في شرح حديث: «الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر»^(٤)، وفيه: «رفع الاختلاف في المشهور في الغني الشاكر والفقر الصابر وأنهما سواء، كذا قيل»^(٥).

وقال بعضهم: «رُبَّما توهَّم متوهَّم أن ثواب الشكر يقصر عن ثواب

(١) هو: عبدالله بن حبيب بن ربيعة الكوفي من أولاد الصحابة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، قرأ القرآن وجوَّده ومهر فيه، وقيل: عرضه على عثمان وعلي وابن مسعود، وحُدِّث عن عمر وعثمان وطائفة من الصحابة، توفِّي سنة ٧٤هـ، وقيل: ٧٣هـ، وقيل: ٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/٤) وما بعدها، وطبقات ابن سعد (١٧٢/٦).

(٢) تفسير السيوطي (٣٧١/١).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١٠٧/٤).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً عن أبي هريرة في كتاب الأطعمة، باب الطاعم الشاكر، وابن خزيمة في باب إعطاء الرب صلى الله عليه وسلم الصائم أجره بغير حساب، وصحَّحه، وابن حبان في صحيحه (١٧/٢)، والحاكم في المستدرک من طرق (٤٢٢/١)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «هذا في الصحيحين فلا وجه لاستدراكه»، وفي (١٣٦/٤)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي فقال: «صحيح»، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب فيمن قال: الطاعم الشاكر كالصائم الصابر، وقال الألباني: «صحيح»، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله...، باب ٤٣.

(٥) فتح الباري (٥٨٣/٩).

الصبر، فأزيل توهمه؛ أو وجه الشبه: اشتراكهما في حبس النفس، فالصابر يحبس نفسه على طاعة المنعم، والشاكر يحبس نفسه على محبته^(١).

قال أحمد بن نصر الداودي^(٢): «الفقر والغنى محتنان من الله يختبر بهما عباده في الشكر والصبر»^(٣). كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَسْبُوهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ففي الآية الأولى: «يخبر تعالى أنه جعل جميع ما على وجه الأرض من مأكّل لذيذ ومشارب، ومساكن طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجيّة، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل، ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه الدار فتنة واختباراً: ﴿يَسْبُوهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] أي أخلصه وأصوبه»^(٤).

فكلّ ما على الأرض من زينة إنّما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وزوال.

وأما الآية الثانية: فتدلّ على أن الابتلاء بالشرّ مفهوم أمره، ليكتشف مدى احتمال المبتلى، ومدى صبره على الضرّ، ومدى ثقته برّبّه ورجائه ورحمته^(٥).

(١) فتح الباري (٥٨٣/٩).

(٢) هو: أبو جعفر، أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، كان بطرابلس، شرح الموطأ ثم انتقل إلى تلمسان، وكان فقيهاً فاضلاً متقناً في اللغة والحديث والفقه، وله شرح البخاري والإيضاح في الرد على القدريّة وغير ذلك، توفي بتلمسان سنة ٤٠٢هـ. انظر: الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٥.

(٣) تفسير الطبري (٢٥/١٧)، وفتح القدير (١٥٩/١)، وفتح الباري (٢٧٤/١١).

(٤) انظر: تفسير السعدي ص ٤٧٠ - ٤٧١.

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٢٣٧٧/١٧).



وثبت أنه ﷺ كان يستعيز من شر فتنة القبر ومن شر فتنة الغنى^(١).

كما في حديث عائشة ؓ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «منازل الإيمان كلها بين الصبر والشكر»^(٣).

والعبد فيه داعيان: داع يدعو إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها، وداع يدعو إلى الله والدار الآخرة، وما أعد الله فيها لأولياته من النعيم المقيم، فعصيان داعي الشهوة والهوى صبر، وإجابة داعي الله والدار الآخرة شكر^(٤).

ف رأي ابن القيم أن هذه المسألة كثر فيها النزاع بين الناس واحتجبت كل طائفة بحاكم يمكنها دفعه من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار، ولذلك يظهر للمتأمل تكافؤ الطائفتين، فإن كلاً منهما أدلت بحجج لا تدفع، والحق لا يعارض بعضه بعضاً، بل يجب اتباع موجب الدليل أين كان^(٥).

فالشكر مستلزم للصبر، لا يتم إلا به، والصبر مستلزم للشكر لا يتم إلا به، فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر، ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر، وإن كان في بلية ففرضها الصبر والشكر^(٦).

(١) انظر: فتح الباري (٢٧٤/١١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، وينحو هذا اللفظ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها.

(٣) طريق الهجرتين (٣٩٩/١).

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ٩٠.

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٦.

(٦) انظر: طريق الهجرتين (٣٩٩/١).

لأن الدين مبني على أصليين هما: الحق والصبر، وهما المذكوران في قول الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفسه وتنفيذه في الناس، وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يُمكنه ذلك إلا بالصبر عليه فكان للعبد نصف الإيمان^(١).

وافتقار الشكر إلى الصبر لأنه جزء منه، فالصبر طاعة مأمور بها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والصبر نوع من الشكر وهو شكر العمل، وصبر الطاعة لا يأتي به إلا شاكر، فيندرج الصبر في الشكر والعكس، لكن اندراج الصبر في الشكر كاندرج الإيمان في الإحسان.

فكل من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر، لا يُمكن وجوده إلا به، وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه، والأظهر منه، وإلا فحقيقة الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل، فإن الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته.

والصبر أصل ذلك، فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر.

وإذا كان الصبر مأموراً به فأداؤه هو الشكر^(٢).

«فإن قيل: يفهم منه اتحاد الصبر والشكر وأنهما اسمان لمسمى واحد، وهذا محال عقلاً ولغة وعرفاً، وقد فرق الله سبحانه بينهما.

قيل: بل هما معنيان متغايران، وإنما بيئنا تلازمهما وافتقار كل واحد منهما في وجود ماهيته إلى الآخر، ومتى تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه شكراً، وإذا تجرد الصبر عن الشكر بطل كونه صبراً، أما الأول فظاهر، وأما

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤.

الثاني: إذا تجرد عن الشكر كان كفوراً، ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخوط^(١).

والصبر قد يكون تجلداً لا طاعة، فهو كصبر البهائم.

ويكون شكر الفقير أتمّ لأن الشكر هو استفراغ الوسع في طاعة الله، والفقير أعظم فراغاً للشكر من الغني، فكلاهما لا تقوم قائمة إيمانه إلاً على ساق الصبر والشكر^(٢).

لأن الدين مداره على أصليين: العزم، والثبات، وهما المذكوران في قول النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد»^(٣).

فأصل الشكر صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق^(٤).

فالصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد في أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره، لا يستغني عنهما طريقة عين.

والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحركة والسكون أيهما أفضل؟ وعن الطعام والشراب أيهما أفضل، وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل؟

فالمأمور لا يؤدى إلاً بصبر وشكر، والمحظور لا يُترك إلاً بصبر وشكر، وأما المقدور الذي يقدر على العبد من المصائب، فمتى صبر عليه اندرج شكره في صبره كما يندرج صبر الشاكر في شكره^(٥).

(١) انظر: عدة الصابرين ص ١٢٤.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٤٤٣/٢).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب صفة الصلاة، باب (٩٥) (٣٨٧/١)، وفي المجتبى في كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء (٥٤/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢١٦/٣).

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ٩٠.

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٥.

فالعبد لا ينفك عن أمر يفعله، ونهي يتركه، وقدر يجري عليه،
وفرضه في الثلاثة: الصبر والشكر.
ففعل المأمور هو الشكر، وترك المحذور، والصبر على المقدور هو
الصبر^(١).

القول الرابع:

مبني على الأقوال السابقة، قال أهله: يعلم أن الصبر والشكر مطيَّتان
للإيمان لا يحمل إلا عليهما ولا بد لكل مؤمن منهما.
وكل منهما في موضعه أفضل، فالصبر في مواطن الصبر من الشدة
والجهد ونحو ذلك أفضل.

والشكر في مواضع الشكر من إسداء النعم وتيسير الأمور ونحو ذلك أفضل.
هذا إن صحَّ مفارقة كل واحد منهما للآخر.

أما إذا كان الصبر جزء مسمى الشكر، والشكر جزء مسمى الصبر، وكل
منهما حقيقة مركبة من الأمرين معاً، فالتفضيل بينهما لا يصح، إلا إذا جرد
أحدهما عن الآخر، وذلك فرض ذهني يقدره الذهن، ولا يوجد في الخارج.
ولكن يصح على وجه: وهو أن العبد قد يغلب صبره على شكره الذي
هو قدر زائد على مجرد الصبر، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فلا يبقى فيه اتساع لغير صبر النفس على ما هو فيه لقوة الوارد وضيق
المحل، فصرف قوى العبد كلها إلى كف النفس وحبسها لله تعالى هو الأفضل.
وقد يغلب شكره بالأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة على قوته في
كف نفسه وحبسها لله، فتكون قوة إرادته وعمله أقوى من قوة امتناعه
وحبس نفسه، فيكون هو الأفضل له.

(١) انظر: عدة الصابرين ص ٩٠.



فالنفس لها قوتان: قوة الصبر والكف وحبس النفس وملكها، وقوة البذل وفعل الخير والإقدام على فعل ما تكمل به.

لكن الكمال في اجتماع هاتين القوتين.

والناس في ذلك على درجات:

العليا: من اجتمعت له القوتان.

والسفلى: من عدم القوتين.

والوسطى: من قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله، أو من قوة فعله وبذله أكمل من قوة صبره.

فإذا فضل الشكر فإما أن يكون باعتبار ترجيح مقام على مقام.

وإما أن يكون باعتبار تجريد كل من الأمرين عن الآخر وقطع النظر عن اعتباره، فيكون كل منهما فاضلاً، والله أعلم.

أما مسألة «الغني الشاكر والفقير الصابر» في حديث: «الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر».

فالتشبيه هنا في أصل الثواب لا في الكمية ولا الكيفية، والتشبيه لا يستلزم المماثلة من جميع الأوجه^(١).

فإن بعض الناس الغنى في حقه أفضل لأنه يدفعه إلى شكر الله، والامتناع عن المحرمات، وعدم التعدي على الأموال وغيرها، وليستكثر من التقرب بالبر والصلة والصدقة مع اتصافه بغنى النفس.

ويمّا يؤيد ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «الله يحبُّ الغنيَّ التقى الخفي»^(٢) سواء حمل الغنى فيه على المال أو على غنى النفس.

(١) انظر: فتح الباري (٥٨٣/٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد (٢٢٧٧/٤).

والتقي: من يترك المعاصي امتثالاً للمأمور به، واجتناباً للمنهي عنه.
والخفي: إشارة إلى ترك الرياء.

وبعض الناس الكفاف في حقّه أفضل حتى لا يشغله المال عن عبادة الله تعالى، ويفرغ قلبه من الشواغل وينال لذّة المناجاة ولا ينهمك في الاكتساب، وليستريح من طول الحساب.

ولعلّ ممّا يؤيد هذا حديث: «فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

قال ابن حجر رحمته الله: «والتحقيق عند أهل الحذق أن لا يجاب في ذلك بجواب كلي؛ بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال، نعم عند الاستواء من كل جهة وفرض رفع العوارض بأسرها فالفقير أسلم عاقبة في الدار الآخرة، ولا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيء»^(٢).

ثم العبد مأمور بالشكر ومأمور بالصبر ولا يكمل الشكر إلا بالصبر، ولا يصبر على طاعة الله وعن معصية الله، وعلى قضائه، إلا الشاكرون الحامدون.

وكثير الشكر هو الحامد في جميع الأحوال في السراء والضراء.

ولذلك قال الله عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وعندما قام النبي محمد ﷺ حتى تفتطرت قدماء وقالت له عائشة رضي الله عنها:

(١) أخرجه البخاري في أبواب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ومسلم في كتاب الزهد والرفائق (٤/٢٢٧٣).

(٢) فتح الباري (٩/٥٨٣).



ألم يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!»^(١).

فإن هذا متضمن للصبر وكثير الشكر بالعبادة.

فالشكر صبر وشكر، فالشكر يتضمن الصبر، فقد يصبر العبد ولا يتضمن ذلك شكراً فيستوي في الصبر المؤمن وغيره.

وأما الشكر فلا يكون إلا من المؤمن.

ويدل على ذلك مثل الحديث السابق: «ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويتصدقون بفضول أموالهم...».

والشاكر الصابر هو التقي فالتقوى تشمل الأمرين.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد احتجبت كل فرقة بحجج وأدلة على قولها، والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما الله تعالى، فإن فرض استواءهما في التقوى استويا في الفضل؛ فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافية والبلاء، وإنما فضل بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وقد قال الرسول ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب»^(٢) فأتقاهما الله في وظيفته ومقتضى حاله، ولا يصلح التفضيل بغير هذا البتة.

لأن الغني قد يكون أتقى لله في شكره من الفقير في صبره، وقد يكون الفقير أتقى لله في صبره من الغني في شكره»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ، ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤١١/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وابن المبارك بلفظ أحمد في المسند ص ١٤٧، والطبراني في الأوسط بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٦/٥): «رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه... ورجال البزار رجال الصحيح» اهـ.

(٣) انظر: عدة الصابرين ص ١٢٦.

نتائج البحث

بعد هذه الدراسة واستعراض أقوال العلماء وآرائهم في هذه المسألة توصلت إلى النتائج التالية:

١ - أن الصبر وسيلة للاستعانة به على طاعة الله أو الوصول إلى مرضاة الله وشكره، وهو من أنواع الأعمال القلبية، والشكر غاية لأنه عمل قلبي ولساني وجوارحي.

٢ - الشكر أكمل لأنه يشمل عمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح.

٣ - تقديم الشكر على الصبر في مواضع من القرآن دليل على أنه الغاية من الأمر بالصبر.

٤ - تقديم الشكر على الإيمان ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنُتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] أخذت منه أن الصبر جزء الإيمان والشكر ثمرة الإيمان، والثمرة أكمل لأنها المقصود من الصبر وغيره.

٥ - الشكر مئة امتن الله بها على عباده الشاكرين ولم يمتن بالصبر على الصابرين ﴿أَهْتُولَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

٦ - أن الله علّق المزيد على الشكر ولم يعلّقه على الصبر في النعم.

٧ - أن الشكر منزلة رفيعة ومقام كريم قلّ من يصل إليه، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، ولذلك كان النبي ﷺ يحرص على طلب هذه المنزلة بالصبر حتى ترم قدماه، ويقول: «أفلا أكون عبدا شكورا؟».



٨ - أن الشكر منزلة أعلى من الرضا؛ لأن الرضا وسيلة إلى الشكر، والرضا أعلى مقاماً من الصبر^(١)، بل إن مقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها كما سبق فهو فوق الرضا، وهو يتضمن الصبر من غير عكس، ويتضمن التوكل والإنابة والحب والإخبات والخشوع والرجاء، فجميع المقامات مندرجة فيه، لا يستحق صاحبه اسمه على الإطلاق إلا باستجماع المقامات له.

٩ - أن مقام الشكر خلاصة العبودية.

١٠ - أن الله أثنى على الصبر وأهله، وأثنى على الشكر وأهله، فليس الثناء دليلاً على التفضيل.

١١ - ذكر الله الصبر في القرآن أكثر من مائة مرة ليس دليلاً على أفضليته على الشكر، بل كثرة النصوص دليل على أنه وسيلة لغاية أعلى، ولذلك كثر الأمر والدعوة للوسيلة التي هي الصبر حتى يُمكن تحقق الشكر.

١٢ - أنه إذا كان الصبر يدخل في كل باب وكل مسألة في الدين، وأنه بمنزلة الرأس من الجسد، فإن الحمد والشكر تاج العبد في كل ذلك، ولذلك يشكر الله عند حصول النعمة ويحمده على كل مكروه، وهذا غاية الشكر المتضمن للصبر.

١٣ - أن الله أخبر عن فوز الصابرين، ومعية الله لهم، وحراسته وكلاءته وحفظه لهم، وهذا حاصل لهم ولغيرهم من أهل الطاعة والخشية والتقوى التي هي وسيلة لتحقيق الشكر.

١٤ - صلوات الله على الصابرين ورحمته لهم، وتخصيصهم بالهداية هذا

(١) انظر: بحث الرضا بالقضاء، منشور بالعدد (١) من مجلة جامعة أم القرى عام ١٤٢١هـ، ج ١٣، ص ٤٧.

سبيل وطريق لإصلاح الوسيلة للوصول إلى الغاية وهو الشكر، وكذلك أمره بالصبر كما أمر أولو العزم من الرسل.

١٥ - أن جزاء الصابرين: الجنة بما صبروا، دليل على تحقق الغاية وهو الشكر، فإن الشاكرين هم نخبة وصفوة أهل الجنة كما قال الله عنهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سَبَأ: ١٣].

١٦ - أن نوحاً عليه السلام كان من أعظم الصابرين على الدعوة ومن أكثر الأنبياء معاناة مع قومهم، ومن أكثر الناس شكراً لله تعالى، وقد وصفه الله وميَّزه بالشكور في القرآن الكريم فقال: ﴿إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وفي حديث الشفاعة يهرع الناس إليه بعد آدم ينادونه بالعبد الشكور.

١٧ - أن إبراهيم عليه السلام من أكثر الأنبياء صبراً على أذى قومه، كيف وقد ألقى في النار فصبر وأنجاه الله حينما احتسب فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، ومع ذلك يصفه الله بصفة الشكر ولا يصفه بصفة الصبر لأنها داخلية في الشكر فيقول الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٥ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ [التحل: ١٢٠، ١٢١].

١٨ - أن القول بالاستواء ليس له دليل إلا حديث: «الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر»، وهذا الحديث يختص بالطاعم الشاكر والصائم الصابر، يعني بفاعل الشكر وفاعل الصبر.

فالمطعم الشاكر يستفرغ وسعه في طاعة الله بالإنفاق، والذي ليس له طعام يطعم به وهو صائم صابر على طاعة الله فهما في الأجر سواء.

وليس الحديث دليلاً على المفاضلة بين الشكر والصبر، إنما هو متعلق بأهلها لا بهما، وداعٍ إلى الترغيب فيهما وسيلة وغاية، والله أعلم.

١٩ - أمّا القول الرابع بأن كلاً منهما في موضعه أفضل، لأن كلاً منهما جزء



الآخر، فهذا اجتهاد ومحاولة للخروج من الخلاف السابق، وليس له دليل صريح من نصوص الكتاب والسنة، وهذا أيضاً متعلق بحال الصابر والشاكر لا بالصبر والشكر.

ثم إن الصبر جزء الشكر ولا عكس كما سبق، وحتى لو قيل: الإيمان نصفان: «نصف صبر ونصف شكر» فالصبر داخل في الشكر، فكان الشكر الإيمان كله.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحكام القرآن: لأحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد قمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لمحمد بن محمد أبو السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- البرهان في علوم القرآن: لمحمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة بيروت، ١٣٩١هـ.
- التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف): لمحمد المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط ١، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر بيروت ودمشق.
- التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط الأولى ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتاب العربي بيروت.
- تفسير الجلالين: للسيوطي والمحلي، ط ١، دار الحديث بالقاهرة.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، دار الفكر بيروت، ١٤٠١هـ.
- التلخيص على هامش المستدرک: لمحمد الذهبي.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط ١٣٨٧هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ط ٣، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط الثالثة، البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٨هـ.



- الجامع الصحيح المختصر: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير واليامة.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي): لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، نشر المكتبة الإسلامية.
- جواب في صيغ الحمل: لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد السعران، دار العاصمة بالرياض، ١٤١٥هـ.
- جواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمن الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصفهاني، ط ٤، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ.
- الديباج المذهب: لابن فرحون، دار الكتب العلمية بيروت.
- الرضا بالقضاء: للباحث، نشر: مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢١ سنة ١٤٢١هـ.
- الروح: لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ.
- الزهد: لابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.
- الزهد: لهناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط ١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت.
- سنن أبي داود: للحافظ سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت.
- سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن زيد بن ماجه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السنن الكبرى: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبدالغفار البنداري، وسيد كسروي، ط الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- السنن «المجتبى»: للنسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط الثانية ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

- السنن الكبرى: للبيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ١٤١٤هـ.
- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة.
- شرح صحيح مسلم: للنووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٩٢هـ.
- شرح سنن ابن ماجه: للسيوطي وعبدالغني والدهلوي، قديمي كتب خانة، كراتشي.
- شعب الإيمان: لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤١٠هـ، نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- شفاء العليل: لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.
- الشكر: لابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط الثانية ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة بيروت.
- صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٠هـ.
- صحيح الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.
- الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر بيروت.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط الثالثة ١٤١٤هـ، نشر دار ابن القيم بالدمام.
- علة الصابرين وذخيرة الشاكرين: لابن قيم الجوزية، تحقيق: زكريا علي يوسف، نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- الفائق في غريب الحديث: لمحمود الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط ٢، دار المعرفة بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية.
- فتح القدير: للشوكاني، دار الفكر بيروت.



- في ظلال القرآن: لسيد قطب، دار الشروق بيروت.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط ١، مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٠٩هـ.
- لسان العرب: لأبي الفضل بن منظور، دار صادر بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف بيروت.
- مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبدالرحمن القاسم، ط رئاسة الحرمين.
- مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر بيروت.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٣هـ، نشر دار الفكر العربي بيروت.
- المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للإمام الذهبي، توزيع مكتبة المعارف بالرياض.
- مسند أبي يعلى: لأحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط الأولى ١٤٠٤هـ، نشر دار المأمون للتراث بدمشق.
- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة، نشر دار الفكر بيروت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد المقرزي الفيومي، توزيع دار الباز بمكة.
- المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، ١٤١٥هـ، نشر دار الحرمين بالقاهرة.
- المعجم الصغير: لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، ط الأولى ١٤٠٥هـ، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت وعمّان.
- المعجم الكبير: لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة دار الحكم بالموصل.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد المقرئ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ١، ١٣٦٧هـ.
- النهاية في غريب الأثر: لأبي السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطباخي، ١٣٩٩هـ، نشر دار الفكر ببيروت.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، ط ١، دار القلم والدار الشامية بدمشق وبيروت، ١٤١٥هـ.

